

البداية والنهاية

الشعبي ما رأيت أميرا على منبر قط أحسن منه وكذا قال إسماعيل بن خالد وقال الحسن هو أجمل أهل البصرة وقال الخطيب البغدادي ولي إمرة العراقيين لأخيه عبد الله قتلته عبد الملك بمسكن بموضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجائليق وقبره الى الآن معروف هناك وقد ذكرنا صفة مقتله المختار بن أبي عبيد وأنه قتل غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف قال الواقدي لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأمنهم ثم بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتفين فقال له رجل الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلانا بالأسر يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه ومن عاقب لا يأمن القصاص نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا قال فرق لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا قد قتلوا أولادنا وعشائرننا وجرحوا منا خلقا اخترنا أو اخترهم فأمر حينئذ بقتلهم فنادوا بأجمعهم لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان فان ظفرنا فلکم وإن قتلنا لا نقتل حتى نقتل منهم طائفة وكان الذي تريد فأبى ذلك مصعب فقال له مسافر اتق الله يا مصعب فان الله لا يأمر بقتل نفس مسلمة بغير نفس وإن من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما لم يسمع له بل أمر بضرب رقابهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر أن أجبني فلك الشام وأعنة الخيل فسار ابن الأشتر إلى مصعب وقيل إن مصعبا لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال أي عم إنى أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى غلبوا تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك فقال وكم هم فقال خمسة آلاف فسيح ابن عمر واسترجع وقال لو أن رجلا أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة أأنت تعده مسرفا قال نعم قال أفتراه إسرافا في البهائم ولا تراه إسرافا في من ترجو توبته يا ابن أخي أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك ثم إن مصعبا بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراق تمكننا زائدا فقرر بها الويالات؟ والعمال وحطى عنده ابن الأشتر فجعله على الوفادة ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعمله بما فعل فأقره على ما صنع إلا ابن الأشتر لم يمض له ما جعله عليه وقال له أتراني أحب الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم والله لو ددت أن لي بكل رجلين منكم رجلا من أهل الشام فقال له أبو حازم الأسدي وكان قاضي الجماعة بالبصرة إن لنا ولكم مثلا قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى ... علقتها عرضا وعلقت رجلا ... غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

